حرمة الحرق والذبح والتنكيل بالبشر عامة

١من جمادى الأولى ١٤٣٦هـ الموافق ٢٠فبراير ٢٠١٥م

أولا : عناصر الموضوع :-

١- تكريم الله تعالى للإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات .
٢- حفظ النفس البشرية والنهي عن القتل والحرق والذبح.
٣- نهي الإسلام عن التمثيل والتنكيل بالنفس وانتهاك حرمتها.
٤- إبطال شبهة انتشار الإسلام بالسيف.
٥- الإسلام دين رحمة لا دين قتل .

ثانيا : الأدلة :-

الأدلة من القرآن الكريم :-

١. قال تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: ٧٠].
٢. وقال تعالى:{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ }[ص:٧١–٧٤].
٣. وقال تعالى:{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}[الأحزاب: ٥٨].
٤. وقال تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ}[الإسراء:٣٣].
٥. وقال تعالى:{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}[المائدة :٣٢].
٦. وقال تعالى:{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}[الفرقان: ٦٨ -٧٠]،
٧. وقال تعالى: {ومَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}[النساء:٩٣].
٨. وقال تعالى:{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}[النحل: ١٢٦].

الأدلة من السنة :-

١- عن عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ: "مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا"(سنن ابن ماجه).
٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالَ: وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» (متفق عليه).
٣- و عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا). (رواه البخاري).
٤- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قال: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ (ﷺ): « مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ »(رواه مسلم).
٥- وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى لَيْلَى قَالَ : حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ (ﷺ) أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا ". (رواه أبو داود).
٦- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا) (رواه البخاري).

٧- وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّه تعالى ثم يقولِ: (..... لَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا)(صحيح مسلم) .

٨- وعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) «يَنْهَى عَنِ الْمُثْلَةِ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ» (المعجم الكبير للطبراني).

٩- وعن مُحَمَّد بْن حَمْزَةَ الأَسْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: « إِنَّهُ لاَ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ ». (رواه أبو داود وأحمد).

ثالثا : الموضـــــــوع :-

لقد خلق الله تعالى الإنسان بقدرته ، ورباه بحكمته ، وأنعم عليه بنعم كثيرة وعظيمة لا تعد ولا تحصى ، ومن ذلك: تكريمه وتفضيله على سائر المخلوقات ، تكريمًا يليق به ؛ لكونه جُعل في الأرض خليفة ليعمرها ، وينشر منهج الله بين ربوعها ، ويقيم شريعته فيها ، حيث خلقه الله تعالى في أحسن تقويم ، ومنحه العقل ، والإرادة ، والحرية ، والاختيار ، تَجمَّع ذلك في قوله تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}[الإسراء:٧٠].

هذا التكريم لكل إنسان مهما كان دينه ومعتقده ، حيث قال ربنا : [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ] ، ولم يقل: ولقد كرمنا المؤمنين فقط، ولا المسلمين فقط ، وهذا تشريف وتكريم ما بعده تكريم للإنسان .

وتتجلى مظاهر هذا التكريم في أمورٍ كثيرةٍ ومتنوعةٍ ، منها: أن الله سبحانه وتعالى خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، قال تعالى: { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ }[ص:٧١–٧٤]. فكان ذلك تكريماً للإنسان وتمييزاً له عن سائر المخلوقات ، وتنبيهًا على أن هذا الخلقَ ليس خلقًا عاديًّا من قبيل "كن فيكون"، ولكنه خلقٌ باشره الله بيده ، وهذا تنويهٌ بنفاسة هذا الإنسان.

ومن مظاهر هذا التكريم كذلك : أن الله تعالى خلقه في أكمل صورة وأحسن تقويم ، قال سبحانه :{ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[التين:٤] ، وقال أيضاً :{وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}[التغابن:٣].

كذلك من تكريم الله تعالى للإنسان – أيضًا- أنه أمر الملائكة بالسجود له تشريفًا وتكريمًا ، قال تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[البقرة: ٣٤]. ثم جعله سبحانه وتعالى خليفةً له في الأرض ، فقال سبحانه وتعالى:{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[البقرة:٣٠].

وليس هذا فحسب بل إن الله - تعالى- كرَّم الإنسان على سائر المخلوقات بنعمة العقل والتفكير ، حيث يقول تعالى:{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[النحل: ٧٨] ، ويقول تعالى:{قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ}[الملك: ٢٣]. فالعقل يعد مناط التكريم الإلهي للإنسان. وغير ذلك من مظاهر تكريم الله -عز وجل- للإنسان.

ولما كان الدين الإسلامي هو المنهج الرباني المتكامل والمناسب للفطرة الإنسانية ، لأنه جاء من عند الخالق - عز وجل- لبناء شخصية متوازنة متكاملة ، فقد أمر - سبحانه وتعالى - بالحفاظ على النفس البشرية ، وعدم التعرض لها بأي صورة من صور الإيذاء والاعتداء ، وجعل ذلك الأمر مقصدًا أصيلاً من مقاصد الشريعة الإسلامية.

فالمتأمل في جوهر الشريعة الإسلامية ليلحظ بوضوح أنها قد جاءت لتحقيق مصالح العباد بالأمن والاستقرار، فحفظت للناس كافة حقوقهم في دينهم ، وأنفسهم ، وعقولهم، وأموالهم ، وأعراضهم ، وجعلت الحفاظ على هذه الضروريات من أهم مقاصدها التي لا تستقيم الحياة إلا بها.

إن الحياة هبة من الله - تعالى - للإنسان، وليس لأحد أن يعتدي عليها ، ولا الإنسان نفسُه، فإن الحياة ملك لله وليست ملكًا للإنسان ؛ لذا كفل له الإسلام حياة كريمة ، وحرم إهانته وإيذاءه ، فقال تعالى:{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا } [الأحزاب: ٥٨].

وقد حرم الإسلام الاعتداء على النفس ؛ لما لها من حرمة عند الله - عز وجل- ، فقال تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الإسراء:٣٣] ، ولعظم الاعتداء على النفس الإنسانية جعل الله الاعتداء على نفسٍ واحدةٍ بمثابة الاعتداء على الجنس البشري برمَّته ، قال تعالى :{ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}[المائدة :٣٢].

والأمر لا يقف عند حد القتل فقط، بل يشمل أيضًا : الذبح والحرق ، والتعذيب والتنكيل ، وسلب الحرية ، وغير ذلك من صور الاعتداء التي ليست من الإسلام، ولا من قيمه ومبادئه، وليست من تشريعاته ونظمه، فهو يتبرأ منها كل البراءة ؛ لأن النفس البشرية تأبى قبول هذه المظاهر التي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون صادرة عن نفس سوية.

فحرمة النفس المؤمنة أعظم عند الله من حرمة الكعبة ؛ كما جاء في قول النَّبِي (ﷺ) مخاطبًا الكعبة : "مَا أَطْيَبَكِ! وَأَطْيَبَ رِيحَكِ! مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ مَالِهِ وَدَمِهِ وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إلا خَيْرًا" (رواه ابن ماجة).

لقد اعتبر الإسلام الاعتداء على النفس الإنسانية من أقبح الجرائم ، وعدَّه من الموبقات السبع التي تفسد الدين والدنيا، فقد قال (ﷺ) محذراً منها: فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالَ: وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» (متفق عليه).

وتعظيماً لأمر قتل النفس بغير حق، وبياناً لشدة خطره، والتحذير منه، جاءت الآيات الكريمة، والأحاديث الصحيحة بالنهي عن ذلك ، قال الله تعالى في وصف عباده المتقين: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [الفرقان: ٦٨ - ٧٠]، فقرن سبحانه قتل النفس بغير حق بالشرك به جل وعلا، وذلك بياناً لعظم هذا الذنب.

فقد توعد الله تعالى من يستحل القتل وسفك دم الأبرياء بالعقاب الأليم ، فقال سبحانه :{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}[النساء: ٩٣].

وكما حرم الله – تعالى - دماء المسلمين، وأعراضهم، وأموالهم، حرم أيضًا دماء المعاهدين، والذميين، والمستأمنين، والمواطنين ، والسائحين ، والزائرين ، فهم مستأمنون وإن لم يكونوا مسلمين، مصونة دماؤهم وأعراضهم، وأموالهم وحقوقهم وحرياتهم، بحكم كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله، وإجماع المسلمين ، قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨]

وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما)، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "من قتل معاهداً لم يَرِحْ رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً" رواه البخاري.

هذه هي عظمة الشريعة الإسلامية ، فقد جعلت حرمة الدماء ليست قاصرة على المسلمين فحسب بل شملت كذلك غير المسلمين من المعاهدين والذميين والمستأمنين.

أما ما يحدث من تكفير وتطرف وغلو في مجتمعاتنا العربية والإسلامية ، وما ينشأ عنه من سفك الدماء، وقتل الأبرياء، ونحر الأعناق، وتعليق الرؤوس، وحرق الأسرى ، وتناثر الأشلاء ، فكلها أعمال إجرامية دخيلة على بلادنا وعلى عاداتنا وتقاليدنا ، لأنها إفساد في الأرض وإشاعة للرعب والخوف ، واستهداف للأمن والأمان والاطمئنان ، والإسلام بريء منها ، وكذلك كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منها، فديننا الحنيف حذّر من إرهاب الآخرين ، ونهى حتى عن مجرد ترويع الآمنين وتخويفهم، وحرّم التعدي عليهم ، لأنه إجرام تأباه الشريعة والفطرة ، يقول (ﷺ): « مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ » (صحيح مسلم).

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى لَيْلَى قَالَ : حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ (ﷺ) أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا ". (رواه أبو داود).

فالإسلام أكّد على حرمة النفس وحذر من العدوان عليها ، فمنع أي تعدّ سواء أكان على أصحاب الديانات المخالفة أو على بني الإسلام أنفسهم ، كما تبرأ ممن يحملون السلاح على الأمة ويخرجون على المجتمع ؛ لقول الرسول (ﷺ) : "من حمل علينا السلاح فليس منا "(متفق عليه) .

وكما حرَّم الإسلام الاعتداء على النفس البشرية في حياتها بقتل أو حرق أو ذبح أو تعذيب كذلك حرم التمثيل بالموتى، بتشويه جثثهم، وقطع بعض أجزاء من جسدهم، ليشفوا بها غيظهم من خصومهم ، مع أنهم قد ماتوا وأفضوا إلى ما قدموا، ولكن الإنسان ـ بظلمه وجهله ـ لم يكفه الموت حتى يُنَكِّل بمن قَتَلَه.

وقد رأينا المشركين في غزوة أحد، وقد قتلوا سبعين من المسلمين، ومثلوا بعدد منهم، ومثلت هند بنت عتبة بحمزة بن عبد المطلب عمِّ النبي (ﷺ) وحينما رآه (ﷺ) أقسم أن يمثل بسبعين منهم ، فأنزل الله تعالى :{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}[النحل: ١٢٦] ، فنهى النبي (صلى لله عليه وسلم) عن المثلى أي : التمثيل بالبشر .

وإذا كان هذا أمر الله فقد نهى رسول الله (ﷺ) عن التمثيل بالقتلى الذين يسقطون في الحرب، والتمثيل إمعانًا في النكاية والتشفي ، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ تعالى ثم يقولِ: (..... لَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُّوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا) (صحيح مسلم).

فالتمثيل في القتل لا يجوز بأي حال من الأحوال ، فعن عمران بن حصين (رضي الله عنه) قال: "ما خطبنا رسول الله (ﷺ) خطبة إلا أمرنا بالصدقة و نهانا عن المثلة"(مستدرك الحاكم).

وعلى هذا صار الخلفاء الراشدون بعد رسول الله (ﷺ) في جهادهم ضد عدوهم فرفضوا التمثيل، وذموه. ومن ثم التزموا في جميع حروبهم: أن يراعوا حرمة الموتى، ولا يتعرضوا لجثثهم بأي تشويه، أو تنكيل ، أو تمثيل.

فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَشُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ بَعَثَا عُقْبَةَ بَرِيدًا إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) بِرَأْسٍ (يَنَاقٍ) بِطَرِيقِ الشَّامِ- (و يَنَاقٍ : بياء مثناة تَحت مَفْتُوحَة ثمَّ نون مُشَدّدَة ثمَّ ألف ثمَّ قَاف، والبطريق - بِكَسْرِ الْبَاء - هُوَ كالأمير) - فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أَنْكَرَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ عُقْبَةُ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَإِنَّهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ، قَالَ: أَفَاسْتِنَانٌ بِفَارِسَ وَالرُّومِ؟ لَا يُحْمَلْ إِلَيَّ رَأْسٌ ، فَإِنَّمَا يَكْفِي الْكِتَابُ وَالْخَبَرُ.(السنن الكبرى للبيهقي).

فانظر إلى هذا الموقف الرائع من الخليفة الأول: من إنكار حمل الرأس إليه، وقوله: أَستنان بفارس والروم؟ ينكر عليهم أن يتخذوا من تقاليد فارس والروم أسوة لهم ، ثم أصدر هذا الأمر الحاسم ، فقال: "لا يُحمَل إليّ رأس".

وفي حادثة أخرى : أُتي له برأس، فقال: بَغَيتُم! أي : إن هذا من فعل أهل البغي والظلم لا من فعل أهل الإيمان.

أما سيدنا علي ـ كرم الله وجهه- لما ضربه ابن ملجم ـ لعنة الله عليه- أوصى إلى الحسن و الحسين ـ عليهما السلام- وصية طويلة، في آخرها : يا بني عبد المطلب،لا تخوضوا دماء المسلمين خوضا، تقولون : قُتِلَ أميرُ المؤمنين..ألاَ لا تقتلُنَّ بي إلا قاتلي، انظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة ، ولا تمثلوا به ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْهَى عَنِ الْمُثْلَةِ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ».

وهكذا حرم الإسلام المثلة بالموتى وقطع رءوس البشر حتى خرج علينا أناس ابتليت بهم الأمة يستحلون سفك الدماء وهتك الأعراض ونهب الممتلكات دون وازع من دين أو ضمير إنساني حي .

لقد عظُمت الفتنة في هذه الأمّة بإثارة الفتن العمياء ، وتواصل حلقات الإفساد والتكفير ، واستمرار مسلسل التفجير والتدمير، ولا يرتابُ عاقل أنّ ما يحدث في بعض بلاد المسلمين يُعدّ جريمةً شنعاء ، وفعلةً نكراء لا يقرّها دينٌ ولا عقلٌ ، وهو بكلّ المقاييس أمرٌ محرّم ، وعمل إرهابيّ مفضوح وسابقةٌ خطيرة ، قام بها الداعشيون المجاهيل الأغرار ، الذين يدَّعون أنّهم يقيمون شرع الله بفعلهم هذا.

وفي الحقيقة أن شرع الله بريء من أفعالهم ، لأنهم بذلك يروجون للشبهات التي تزعم أن الإسلام قد انتشر بحد السيف ، فجوهر الإسلام وخبر التاريخ يكذِّبان هذه الفرية، ويستأصلانها من جذورها، حيث أعطى الإسلام للإنسان حريَّة اختيار العقيدة والدين ، ولم يجبر أحدًا على اعتناقه ، قال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}[البقرة: ٢٥٦]،أي: لا تُكرِهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام.

لقد جعل الإسلام قضية الإيمان أو عدمَه من الأمور المرتبطة بمشيئة الإنسان نفسه واقتناعه الداخلي ، فقال سبحانه: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[الكهف:٢٩]، ولفت القرآنُ نظر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى هذه الحقيقة، وبيَّن أن عليه تبليغ الدعوة فقط، وأنه لا سلطان له على تحويل الناس إلى الإسلام، فقال تعالى: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [يونس: ٩٩]، وقال سبحانه: {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ}[الغاشية:

٢٢]، وقال جل وعلا: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ} [الشورى: ٤٨]. ومن ذلك يتَّضح أن دستور المسلمين يرفض رفضًا قاطعًا إكراه أحد على اعتناق الإسلام.

فإذا كان هذا هو موقفُ الإسلام من حرية الدخول في الدين ابتداء، بناءً على الفكر الواعي، والعقل المجرد المدرك للحقائق، دون قهرٍ بالسيف، أو إكراهٍ بالقوة ، فهو يطالب باستعمال العقل، فكيف يرضى بقوة السيف والإكراه على الدين؟!.

وكيف ينتشر الإسلام بالسيف وقد بين الله تعالى أن الأصل في الدعوة إلى الإسلام إنما يكون بالتي هي أحسن ، وقد ورد الأمر الإلهي بذلك ، إذ قال الله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[النحل:١٢٥].

فالعقائد لا تستقرُّ في النفوس تحت وطأة السيف والقهر على الإطلاق، وإنما تستقر بالإقناع وبالحجة الواضحة، ولو كانت الشعوب قد دخلت في الإسلام مُجبَرةً، فسرعان ما كانت تمرَّدت عليه ولفظته، ولكن الحقيقة التي يشهد لها التاريخ والواقع، أن الشعوب الإسلامية هي أكثر الشعوب تمسُّكًا بدينها رغم ما تعانيه من اضطهادات وحروب في كثير من أنحاء العالم حتى في عصرنا هذا.

ومن ثمَّ يتضح أن الإسلام دين رحمة وسماحة ، لا دين قتل وإرهاب ، من رحمته أنه انتشر بأخلاق نبيه (ﷺ) وأتباعه التي رسمها القرآن عندما خاطب نبيه قائلاً : {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[آل عمران: ١٥٩] .

وهي ليست رحمة خاصة بجنس أو نوع أو زمان ؛ بل هي رحمة عامة لجميع المخلوقات ، قال تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }[الأنبياء: ١٠٧].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم